يكتب «محمد بن عبد الله».

وعلى كل حال، فللعلماء اجتهاداتهم، ولكل أجره، والمهم هنا هو أن الباجي، لا يتصور معارضة بين كتابة النبي ﷺ بعد النبوة، وبين تلك الآية الكريمة، لأنه يرى أنها تنفي عنه القراءة والكتابة قبل النبوة، لا بعدها، أما الجمهور فإنهم يرون ان هناك معارضة بينهما، اذ لو جاز أن يكتب بعد ذلك لعادت الشبهة، ولضعفت المعجزة، ولذا فإنهم ردوا الرواية التي تقول بأنه ما مات حتى قرأ وكتب، لمخالفة الآية، زيادة على ضعفها، والله أعلم.

المسألة الثانية: سحر النبي ﷺ:

روى البخاري ومسلم، عن عائشة، رضي الله عنها قال: سحر رسول الله ﷺ يهودي من يهود بني زريق، يقال له لبيد بن الأعصم، حتى كان رسول الله يخيل اليه انه يفعل الشيء، ولا يفعله.

وقد رد بعض العلماء هذا الحديث، لأنه معارض بقوله تعالى: «وقال الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا، انظر كيف ضربوا لك الأمثال، فضلوا، فلا يستطيعون سبيلا»[1]، منهم الإمام الجصاص من المفسرين المتقدمين، والشيخ محمد عبده، والسيد محمد رشيد رضا[2].

إلا أن كثيرا من العلماء لم تتحقق عندهم هذه المعارضة، فلم يردوا الحديث، وقد لخص الأستاذ عبد الله بن علي النجدي القصيمي، الشبه التي رد من أجلها الحديث، وتولى الاجابة عنها.

أما الشبهة الأولى: فقد قالوا هذا الحديث يصدق المشركين في قولهم ان تتبعون الا رجلا مسحورا.

الثانية: قالوا هذا يزيل الثقة بما جاء به رسول الله ﷺ.

---

(١) الآيتان ٨ - ٩ من سورة الفرقان ٢٥.

(٢) أضواء على السنة، لمحمود أبو رية: ص٢٧٨.

الثالثة: قالوا السحر من عمل الشياطين، وصنع النفوس الشريرة الخبيثة، اما من تحصن بعبادة الله كالأنبياء، فليس للشيطان ولا للشريرين عليهم من سلطان، قال تعالى: «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان»[1].

واعتبر الأستاذ القصيمي هذه الشبه ضعيفة جدا اذا تؤملت:

أما الأولى: وهي تصديق الكفار، فقد كانوا يقولون ان محمدا بشر، وانه فقير، وانه لا يعلم الغيب، فهل نكذبهم في ذلك؟ ثم اننا نعلم يقينا، ان الكفار لا يريدون بقولهم هذا، ان يثبتوا لرسول الله ﷺ ما أثبته هذا الحديث، وهو ان فلانا من اليهود سحره بضعة أيام، فأدركه شيء من التغير، وخيل اليه انه يفعل بعض الشيء وهو لا يفعله، ثم ان الله شفاه من ذلك، هم لا يريدون هذا، بل يريدون أن رسول الله انما يصدر عن خيال وجنون، وانه لم يوح اليه شيء، فإذا آمنا بما دل عليه الحديث لم نكن مصدقين للمشركين في دعواهم، فمفهوم الحديث شيء، ودعواهم شيء آخر.

وأما الثانية: وهي زوال الثقة بما جاء به، فالرسول عليه السلام انسان، والانسان ممكن عليه أن يضل وأن يكذب، فهل يمكن أن يقع ذلك من رسول الله لأنه انسان؟ قطعا لا يجوز ذلك، لأن الله عصمه، والرسول مشروط في حقه أن لا يقع منه شيء يخل بوظيفته، فكذلك القول في السحر، أي ان المسحور يجوز عليه الاختلاط، ولكن الرسول معصوم من ذلك على أي حال، لأن ذلك يخل بمقام الرسالة، والله سبحانه وتعالى يحفظه من ذلك.

وأما الثالثة: وهي كون السحر من عمل الشيطان، فقد قال الله تعالى عن أيوب عليه السلام: «اني مسني الشيطان بنصب وعذاب»[2]،

---

(١) قال تعالى: «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان، الا من اتبعك من الغاوين». الآية ٤٢ من سورة الحجر ١٥.

(٢) قال تعالى: «واذكر عبدنا أيوب، اذ نادى ربه اني مسني الشيطان بنصب وعذاب». الآية ٤١ من سورة ص ٣٨.

وأخبر عن موسى عليه السلام انه قال لما قتل القبطي: «هذا من عمل الشيطان»[1] والاستدلال بقوله تعالى: «ان عبادي ليس لك عليهم سلطان»، على أن جميع عباد الله الصالحين ناجون من أذى الشيطان، خلاف الاجماع والمشاهد والنصوص السالفة، والآية تفيد بلا شك ان عباد الله الصالحين سالمون من إغوائه واضلاله، كما قال في الآية الأخرى: «لأغوينهم أجمعين، الا عبادك منهم المخلصين»[2].

ويختم هذه المناقشات بقوله: (وبعد، فقد يمكن أن يرد على هؤلاء، وان يحتج على جواز السحر للأنبياء بقوله تعالى «فإذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى، فأوجس في نفسه خيفة موسى، قلنا لا تخف»[3]. فقد صرحت الآية بأن سحر أولئك السحار، قد أوقع نبي الله موسى في التخييل، حتى تغيرت أمامه الحقائق، فحسب الحبال حيات، والساكنات متحركات...، اذاً فالحديث صحيح الاسناد والمعنى، ولا معقول يعارضه، فوجب قبوله والايمان به.)[4]

وهذه الآية التي ذكرها عن تأثير سحر السحرة في موسى عليه السلام، حتى ظن الحبال حيات، انما هي في سحر البصر، كما قال تعالى «سحروا أعين الناس، واسترهبوهم، وجاءوا بسحر عظيم»[5]، وليست في سحر العقل، وبينهما بون شاسع، فاحتجاجه بها في هذا الموضع فيه نظر. وسائر ما اسندل به محل نقاش، يرجع فيه الى كتب العقيدة والتفسير، وانما الغرض هنا هو الاستشهاد بمن رد الحديث، لما رأى فيه من التعارض مع آيات القرآن الكريم.

---

(١) من الآية ١٥ من سورة القصص ٢٨.
(٢) من الآيتين ٣٩ - ٤٠ من سورة الحجر ١٥. ومن الآيتين ٨٢ - ٨٣ من سورة ص٣٨.
(٣) من الآيات ٦٦ - ٦٨ من سورة طه ٢٠.
(٤) مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها، للقصيمي: ص٤٨ - ٥٨.
(٥) الآية ١١٦ من سورة الأعراف ٧.

المسألة الثالثة: نبوة ابراهيم ابن رسول الله ﷺ:

روى ابن ماجه عن ابن عباس قال: لما مات ابراهيم ابن رسول الله ﷺ، صلى رسول الله ﷺ وقال: «ان له مرضعا في الجنة، ولو عاش لكان صديقا نبيا، ولو عاش لعتقت أخواله القبط وما استرق قبطي»[1]. وفي اسناده ابراهيم بن عثمان، أو شيبة، قاضي واسط، وهو منكر الحديث.

وممن رده من المحدثين واستنكره من حيث معناه، ابن عبد البر، والنووي، فأما ابن عبد البر فقال في التمهيد: لا أدري ما هذا؟ فقد ولد نوح عليه السلام غير نبي، ولو لم يلد النبي الا نبيا لكان كل أحد نبيا، لأنهم من ولد نوح. وقال النووي عن هذا: باطل، وجسارة على الكلام على المغيبات، ومجازفة، وهجوم على عظيم[2]. وبعد أن نقل السخاوي في المقاصد الحسنة كلامهما نقل عن ابن حجر العسقلاني تعجبه من ذلك، لوروده عن ثلاثة من الصحابة، ولامكان تأويله، لأن القضية الشرطية لا تستلزم الوقوع.

وأرى أن رد ابن حجر بعيد، فورود الرواية عن ثلاثة من الصحابة ليس دليلا على صحتها، غاية ما في الأمر أن لها شواهد، وإذا كانت أسانيدها شديدة الضعف فهذا لا يفيد الرواية قوة، فسواء عليها أرويت من طريق واحد أو أكثر. وأما التأويل الذي ذكره، والذي أيده السخاوي بما رواه أحمد والترمذي، عن عقبة بن عامر مرفوعا: «لو كان بعدي نبي لكان عمر»، فأرى انه تأويل بعيد كذلك، لأن القضية الشرطية وان كانت لا تستلزم الوقوع، أي لم يصر ابراهيم نبيا لأنه لم يعش، فهي مصرحة بإمكان الوقوع، أي لو عاش لكان نبيا، وهذا يتعارض مع قوله تعالى في حق محمد ﷺ: «ولكن رسول الله وخاتم النبيين»[3].

---

(١) سنن ابن ماجه: رقم الحديث ١٥١١.

(٢) المقاصد الحسنة للسخاوي: رقم الحديث ٨٩٢.

(٣) قال الله تعالى: «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم، ولكن رسول الله وخاتم النبيين، وكان الله بكل شيء عليما» الآية ٤٠ من سورة الاحزاب ٣٣.

وقد أراد السخاوي تقوية كلام شيخه ابن حجر، فقواه بحديث «لو كان بعدي نبي لكان عمر»، وبينهما بون شاسع، واختلاف في المعنى، لأن حديث عمر يفيد انه لم يصر نبيا لأنه لا نبي بعد محمد ﷺ، وحديث ابراهيم يفيد انه لم يصر نبيا لأنه لم يعش ويكبر، لا لأنه لا نبي بعد محمد!.

على أن بعض العلماء لم يصححوا حديث «لو عاش ابراهيم» فحسب، بل وأثبتوا له النبوة في صغره، رغم انه لم يعش أكثر من عام ونصف، وقالوا انه كعيسى عليه السلام، الذي أكد نبوته يوم ولد: «قال اني عبد الله، آتاني الكتاب، وجعلني نبيا»[1]، وكيحيى عليه السلام، الذي قال الله تعالى فيه: «وآتيناه الحكم صبيا»[2]، ونقلوا عن المفسرين انه نبىء وعمره ثلاث سنين، بل قالوا لو عاش ابراهيم وصار نبيا فهو من أتباع محمد ﷺ، فلا منافاة مع قوله تعالى «خاتم النبيين»، لأن المعنى انه لا يأتي نبي بعده ينسخ ملته!.

وكيف يعقل أن يكون عيسى عليه السلام نبيا في اليوم الذي ولد فيه؟ ومن الممكن أن يكون قوله «وجعلني نبيا»، أي سيعطيه النبوة لما يكبر، والتعبير بالماضي من باب تأكيد حصول الأمر، وهذا أسلوب معروف في القرآن الكريم، وأما قوله تعالى في يحيى «وآتيناه الحكم صبيا»، فالآية لا تصرح باينائه النبوة.

وأما دعوى عدم المنافاة، بين كون ابراهيم نبيا، وبين قوله تعالى «خاتم النبيين»، على أنه نبي تابع للملة وليس ناسخا لها، فهذا تأويل مردود، معارض لنص القرآن والاجماع، ومثل هذا التأويل يفتح الباب أمام القاديانيين، والبابيين، والبهائيين، للطعن في ختم النبوة بمحمد ﷺ، وادعاء النبوة لبعض الأفراد بعد محمد ﷺ، بحجة انهم

---

(١) الآية ٣٠ من سورة مريم ١٩.

(٢) قال الله تعالى: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة، وآتيناه الحكم صبيا.» الآية ١٢ من سورة مريم.

تابعون لنبوته، غير ناسخين لها، ومع الأسف فقد راجت هذه الأفكار حول نبوة ابراهيم على العجلوني، فضمنها كتابه كشف الخفاء ومزيل الالباس، عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس[1].

(١) كشف الخفاء للعجلوني: رقم الحديث ٢١٠١. وانظر: الجامع الصغير للسيوطي، وفيض القدير للمناوي: رقم الحديث ٧٤٥٣.

المبحث الثالث

الروايات الواردة في التفسير

مسألة صلاة النبي ﷺ على عبد الله بن أبي ابن سلول:

روى البخاري من طريق نافع، عن ابن عمر، ومن طريق ابن شهاب الزهري، عن عبيد الله بن عبد الله، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب، ان عبد الله بن أبي ابن سلول[1] - وهو منافق معروف -، لما توفي جاء ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبي[2]، الى رسول الله ﷺ، وهو من فضلاء الصحابة، فسأله ان يعطيه قميصه يكفن فيه اباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ، فقام عمر، فأخذ بثوب رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله: اتصلي عليه وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟

يشير بذلك الى مثل قوله «لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى

---

(١) هو عبد الله بن أبي بن مالك، الخزرجي، أبو الحباب، المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه. كان سيد الخزرج في آخر جاهليتهم، وأظهر الاسلام تقية، بعد وقعة بدر، ولما تهيأ النبي ﷺ لوقعة أحد، انحاز ومعه ثلاثمائة رجل، فعاد بهم الى المدينة، وفعل مثل ذلك يوم التهيؤ لغزوة تبوك. وكان كلما حلت بالمسلمين نازلة شمت بهم، وكلما سمع بسيئة نشرها. مات سنة ٩ هـ/٦٣٠ م. (انظر الاعلام: ١٨٨/٤)

(٢) هو عبد الله بن عبد الله بن أبي بن مالك، الأنصاري، الخزرجي. شهد بدرا واحدا والخندق، والمشاهد كلها، مع رسول الله ﷺ، وكان يغمه أمر أبيه، ويثقل عليه لروم المنافقين اياه، واستأذن رسول الله في قتله، فقال له: بل أحسن صحبته. واستشهد باليمامة، في حروب الردة، يوم جواثا، وذلك في خلافة أبي بكر، سنة ١٢ هـ. (الاصابة: ١٥٥/٤ - ١٥٦. وطبقات ابن سعد: ٨٩/٢/٣ - ٩١).

ينفضوا »[1]، والى مثل قوله «ليخرجن الأعز منها الأذل »[2].

فقال رسول الله ﷺ: (انما خيرني الله فقال «استغفر لهم أولا تستغفر لهم، ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم »[3]، وسأزيده على سبعين)، فصلى عليه رسول الله ﷺ، وصلى معه الناس، ثم انصرف، فلم يمكث الا يسيرا حتى نزل قوله تعالى: «ولا تصل على أحد منهم مات أبدا، ولا تقم على قبره، انهم كفروا بالله ورسوله، وماتوا وهم فاسقون »[4]. قال عمر: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم.[5]

استشكل فهم التخيير من قوله تعالى «استغفر لهم أولا تستغفر لهم »، وهو ظاهر في أن المراد ليس تخييره بين أن يستغفر لهم أو أن لا يستغفر، بل هو اعلام من الله تعالى انه لن يغفر لهم، مهما أكثرت لهم من الاستغفار، حتى ولو كان سبعين مرة، والمراد التكثير، وليس المراد تخصيص نفس العدد، فليس له مفهوم مخالف، بل حتى ولو كان أكثر من سبعين، بدليل تتمة الآية: «ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين »، وكيف يخفى على فصاحة النبي ﷺ، ودقته في أساليب الكلام وتمثيلاته، معنى هذه الآية؟! ولذا رد بعض العلماء هذا الحديث، وطعنوا في صحته، رغم كونه في الصحيحين.

---

(١) قال تعالى: «هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولله خزائن السموات والأرض، ولكن المنافقين لا يفقهون ». الآية ٧ من سورة المنافقون ٦٣.

(٢) قال تعالى: «يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ولله العزة، ولرسوله وللمؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون ». الآية ٨ من سورة المنافقون.

(٣) تتمة الآية: «ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله، والله لا يهدي القوم الفاسقين »، الآية ٨٠ من سورة التوبة ٩.

(٤) الآية ٨٤ من سورة التوبة ٩.

(٥) صحيح البخاري: ٤٠٢/٩ - ٤٠٩.

وقال القاضي أبو بكر الباقلاني[1]، لا يجوز أن يقبل هذا، ولا يصح أن الرسول قاله، وقال: هذا الحديث من أخبار الآحاد التي لا يعلم ثبوتها، أي ان خبر الآحاد حيث لم يبلغ درجة التواتر فهو ظني، من حيث درجة اثبات وروده، فيرد اذا خالف أصلا من الأصول كما هنا.

ورده امام الحرمين[2]، والغزالي، والداودي. أما ابن حجر والجمهور فقد سلكوا في هذا الحديث مسالك التأويل[3].

وقد حلل الأستاذ محمد رشيد رضا مواقف العلماء تجاه هذا الحديث، فقال: (الحق ان هذا الحديث معارض للآيتين، فالذين يعنون بأصول الدين ودلائله القطعية، أكثر من الروايات والدلائل الظنية، لم يجدوا ما يجيبون به عن هذا التعارض، الا الحكم بعدم صحة الحديث، ولو من جهة متنه، وفي مقدمتهم أكبر أساطين النظار، كالقاضي أبي بكر الباقلاني، وإمام الحرمين، والغزالي، ووافقهم على ذلك الداودي من شراح البخاري، وأما الذين يعنون بالأسانيد أكثر من عنايتهم بالمتون، وبالفروع أكثر من الأصول، فقد تكلفوا ما بينا خلاصته عن أحفظ حفاظهم.) أي ابن حجر العسقلاني.

ثم بين وجه الاختيار بين احدى الطريقتين فقال: (فمن اطمأن قلبه لما ذكروا من الجمع، أو لوجه آخر ظهر له، فهو خير له من رد

---

(١) هو القاضي أبو بكر: محمد بن الطيب بن محمد، الباقلاني. من كبار علماء الكلام، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة، وسكن بغداد، فتوفي بها. كان موصوفاً بجودة الاستنباط، وسرعة الجواب، وسمع الحديث، وصنف التصانيف الكثيرة المشهورة، في علم الكلام وغيره. من مصنفاته: إعجاز القرآن، ودقائق الكلام، والاستبصار. توفي سنة ٤٠٣ هـ/١٠١٣ م. (انظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان: ٤/٢٦٩ - ٢٧٠. والاعلام: ٧/٤٥).

(٢) هو عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الجويني، النيسابوري، امام الحرمين، أبو المعالي. متكلم، أصولي، فقيه شافعي. بنيت له المدرسة النظامية بنيسابور، وأقعد للتدريس فيها، وبقي على ذلك قريباً من ثلاثين سنة، غير مزاحم ولا مدافع، وهجرت المجالس من أجله، وانغمر غيره من الفقهاء بعلمه. وكان ممن سمع الحديث، وأجاز له الحافظ أبو نعيم. من تصانيفه: نهاية المطلب في دراية المذهب، في الفقه الشافعي، والشامل في أصول الدين، والبرهان في أصول الفقه. توفي سنة ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م. (انظر طبقات الشافعية: ٥/١٦٥ - ٢٢٢. ومعجم المؤلفين: ٦/١٨٤ - ١٨٥).

(٣) فتح الباري لابن حجر: ٩/٤٠٨.

الحديث، ومن لم يظهر له ذلك، فلا مندوحة له عن الجزم بترجيح القرآن، والتماس عذر لرواة الحديث)[1].

وفي الاحاديث الضعيفة المتعلقة بالتفسير كثير مما هو مخالف للقرآن، نصا أو روحا، وهذا بحث واسع يحتاج الى دراسة خاصة.

---

(١) تفسير القرآن الحكيم لمحمد رشيد رضا: ١٠/٥٨٠.